

ملخص الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، أنزل كتابه المبين وجعله هدى للمتقين ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد الأمين، أزكى البشر وأشرفهم أجمعين ، ومن شايعه واتبع هداه إلى يوم الدين ، أما بعد :

فاستجابة لفضيلة شيخنا المبارك في قراءة نبذة عن الرسالة التي سيتفضل المشايخ الفضلاء بمناقشتها ، أقول وبالله التوفيق : إن العلم بكتاب الله تعالى هو والله من أشرف الأعمال التي يجد فيها الإنسان الغبطة والسرور ، كيف وهو مع كلام ربه تعالى الذي أنزله الله هدى للعالمين . ومن منحه الله العلم بكتابه وتعلمه والعمل به فقد خصه بالفضل والشرف والخير كله، كما جاء عن رسول الهدى × أنه قال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))⁽¹⁾، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله، ويكرمنا بعلمه والعمل به.

ولقد أكرمني الله تعالى في هذه الرسالة المباركة بدراسة لعلم من علوم القرآن المتعلق بفهمه وتدبره ، وهو علم عظيم المنزلة رفيع القدر هو علم السياق القرآني. وإن من أعظم ما يبين منزلة هذا العلم أنه مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن، ذلك أنه تفسير للآية بما تضمنه نصها، أو بما سبقها ولحقها من الآيات، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، بل هو أقوى مراتب هذا النوع، إذ أن السياق هو: (الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية).

ومن هنا فيمكن القول بأن السياق أصل من أصول التفسير التي يجب الاعتماد عليها في تفسير كتاب الله تعالى. قال شيخ الإسلام: "ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع، في باب فهم الكتاب والسنة"⁽²⁾.

ولقد كان من توفيق الله تعالى وعظيم منه وفضله أن هداني وساقني لدراسة هذا العلم وتطبيقه على أعظم سورتين في كتاب الله تعالى وهما سورتي الفاتحة والبقرة، وكان من أسباب اختيار هاتين السورتين العظيمتين أمور:

1- عظم فضلها، فقد جاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة، ما سأورده في موضعه بإذن الله تعالى.

2- الأمر بتعلم سورة البقرة، كما جاء عند الإمام أحمد في المسند والحاكم وصححه أن

النبي ﷺ قال: ((تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة...)) الحديث⁽³⁾، وجاء

عن عمر بن الخطاب ؓ قال: (تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة الحج وسورة النور

فإن فيهن الفرائض)⁽⁴⁾ وما ورد أيضاً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم مكثوا في

تعلم سورة البقرة عدة سنين، ومن ذلك ما ذكره السيوطي عن ابن عمر ؓ قال (تعلم عمر ؓ

(1) أخرجه البخاري 1919/4 برقم (4739)

(2) ((مجموع الفتاوى)) (18/6).

(3) رواه أحمد 348/5 والدارمي 543/2 برقم 3391 وصححه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(4) انظر: الدر المنثور 51/1.

البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً (ونقل عن مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها(1)، وهذا يؤكد أهمية دراسة السورة وتعلمها لما فيها من المعاني العظيمة.

3- شمولهما وتضمنهما لأعظم مقاصد القرآن وأحكامه، فأما الفاتحة فإنها متضمنة جميع مقاصد القرآن، ولهذا سماها النبي × الكافية، وأما البقرة فلا شك أنها مشتملة على أصول التشريعات والأحكام في الإسلام، وبذلك تتبين أهمية تعلمهما وبيان معانيهما وتخصيصهما في الدراسة.

4- أن تكون دراستي لهاتين السورتين سبباً مباركاً - بإذن الله - في مواصلة دراسة كتاب الله تعالى على هذا المنهج العظيم. وأسأل الله تعالى أن يكتب لي ذلك، وأن يتم نعمته عليّ بتيسيره.

العنوان والخطة والمنهج:
عنوان الرسالة (أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتى الفاتحة والبقرة).

وعنوان الرسالة دال على مضمونها من وجوه:
أولاً: أن المقصود بأثر السياق: كل ما دل عليه السياق القرآني من المعنى وتعلق به. وهذا المعنى للأثر واسع جداً، ولا يمكن استيعابه في القرآن كاملاً؛ لأن ذلك شاق متعذر، لذا فقد حاولت ما وسعني الجهد اتباع أثر السياق في السورتين.
ثانياً: السياق القرآني: كان من أشد ما واجهني في هذا البحث هو تحرير السياق وبيان حده، ومعرفة أصوله وقواعده، وقد بقيت في السنة الأولى من البحث عاكفاً على القراءة في علوم اللغة والبلاغة وكتب السياق، وجمعت فيها ما أمكنني من رسائل وبحوث. وتحرر لدي بعد الدراسة أن السياق القرآني هو ((الأعراس التي بنيت عليها الآية، وما انتظم بها من القرائن اللفظية والحالية وأحوال المخاطبين بها)).

وهذا المعنى للسياق القرآني واسع جداً إذ هو في الحقيقة يشمل جل ما يتعلق بالتفسير، فهو جامع لأصول التفسير، ولهذا فقد كنت أمام بحر لا ساحل له، وعلم لا نهاية له، لكنني غرقت منه قدر ما وصلت إليه طاقتي، مع علمي أنني لم أبلغ فيه إلا مقداراً يسيراً.

أما خطة البحث فقد قسمتها إلى قسمين بعد المقدمة :

القسم الأول :

الدراسة النظرية وهي على فصلين:

الفصل الأول: تعريفات ودراسات في السياق:

وقد قسمت هذا الفصل إلى سبعة مباحث تعرضت فيها لتعريف السياق ، والمراد بالسياق القرآني ، وبيان أهمية السياق ومكانته في التفسير ومنزلته من قرائن الترجيح ، وأنواع السياق في القرآن ، وقواعد وضوابط في السياق. وأدلة اتصال السياق وانقطاعه. كيفية الكشف عن السياق ، وطريق الوصول إليه، ثم صلة السياق ببعض العلوم المتعلقة بالتفسير ، وأبرز المفسرين الذي اعتنوا بالسياق ومناهجهم في تناوله إجمالاً.
الفصل الثاني: أثر السياق في الألفاظ والمعاني والترجيح.

وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث ، تعرضت فيها لأثر السياق في الألفاظ والتراكيب ، وفي خواتم الآيات وفواصلها ، وأثر السياق في المعاني والترجيح.
القسم الثاني:

الدراسة التطبيقية على سورتى الفاتحة والبقرة .
سلكت في هذا القسم منهجاً شاملاً لدراسة السورتين دراسة تطبيقية واتبعت فيها المنهج

التالي:

أولاً : قسّمت السورة إلى مقاطع بحسب ارتباطها بسياق متحد. وبينت السياق العام للمقطع، ثم أفردت كل آية بدراسة مستقلة ، وبينت ما فيها من المسائل المتعلقة بالسياق، حسب المنهج التالي:

- 1- غرض الآية ومناسبتها للسياق.
- 2- أثر السياق في ألفاظ الآية، واقتصر على أبرز المسائل المتعلقة بها.
- 3- بيان معاني الآية والراجح في المسائل المختلف فيها عند المفسرين، اعتماداً على دلالة السياق.

وقد بذلت وسعي في هذه الدراسة حسب طاقتي، واستوعبت ما أمكنني من ذلك، وقد واجهت فيها مشقة الطول إلا أنني رغبت في استيعاب ما أمكنني استيعابه في دراسة هاتين السورتين لأهمية دراستهما والوقوف على معانيهما؛ إذ لم أقف على دراسة مستوعبة للسورتين على هذا المنهج.

ثانياً : كانت طريقتي في استخراج السياق على النحو التالي:

- 1- النظر والتأمل في الآيات واستخراج ما أمكنني استخراجها منها مما يتعلق بالسياق اعتماداً على ما حددته في ضوابط السياق القرآني وقواعده.
- 2- جمع ما تنأثر في كتب التفسير مما يرشد للسياق ويساعد عليه ويثبته مع التحليل والتحرير والتحقيق، وقد اجتهدت في إيراد ما أراه جامعاً وظاهراً من أقوال المفسرين في السياق.
- 3- اعتمدت في الدراسة على كتب التفسير الأكثر عناية بالسياق، وهي:

جامع البيان لابن جرير ، والمحرر الوجيز لابن عطية. والكشاف للزمخشري ، مفاتيح الغيب للرازي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي. أقوال شيخ الإسلام وابن القيم في التفسير. البحر المحيط لأبي حيان. والتحرير والتنوير لابن عاشور ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب.

وقد استعرضت ما أمكنني استعراضه من غير ذلك من كتب التفسير، وجمعت ما رأيته متعلقاً بالسياق منها، واستشهدت ببعضه في الدراسة.

ثالثاً : أعرضت في الدراسة عن كثير من المسائل النحوية والإعرابية الدقيقة التي لا أثر لها ظاهر في المعنى.

رابعاً : اعتمدت في الدراسة على القراءات المتواترة دون الشاذة، مع بيان أثر السياق في الجمع بينها، وقد سلكت بحمد الله منهجاً واحداً في التوفيق والجمع بين القراءات على ضوء ما يبيّن السياق، ولم أجد بحمد الله تعارضاً بين قراءتين، بل قد ثبت لدي بما لا شك فيه، أن القراءات دالة على تعدد المعنى في الآية، أو بيان حكم زائد أن وقد ظهر في الدراسة أثر السياق في ذلك.

أهم النتائج

خلصت بهذه الدراسة إلى نتائج مهمة:

أولاً: أن السياق علم عظيم متعلق بفهم كتاب الله مباشرة، وهو يمثل الروح في الكلام الذي يجري فيه؛ إذ يجعله متناسقاً منتظماً دالاً على المعنى الصحيح، وهو جار في كلام الله باتفاق العلماء؛ بل هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله مؤتلفاً منتظماً على نحو كمال نظمه وإحكامه.

ثانياً: اتفق القدامى والمحدثون على اعتباره وأهميته وأثره في الدلالة على المعنى الصحيح وتحديده، وكشف الغموض فيه؛ وعليه فإن من رام فهماً صحيحاً لكتاب الله تعالى فعليه بالنظر للسياق بمجموع قرآنه ودلالاته.

ثالثاً: أن منهج دراسة تفسير كتاب الله اعتماداً على السياق منهج مأمون صحيح معتبر عند العلماء، وقد اعتمده كثير من المفسرين على تفاوت فيما بينهم، وقد أظهرت هذه الدراسة أهمية تفسير كتاب الله تعالى على نحو هذا المنهج العظيم.

رابعاً: مازالت الحاجة ماسة إلى دراسة هذا العلم وتحقيقه وإبرازه ورسم منهج عملي صحيح لتفسير كتاب الله تعالى باعتبار السياق، وتعتبر هذه الدراسة - بحمد الله - مساهمة جادة في ذلك.

خامساً: تعتبر الدراسة- بحمد الله - منهجاً جديداً في التفسير؛ إذ هي دراسة لكتاب الله تعالى وفهمه وتفسيره، اعتماداً على علم عظيم متعلق بالتفسير وبيان كتاب الله مباشرة، وهو السياق، الذي يجعل كلام الله تعالى ومعانيه منتظماً متفقاً متلائماً مع إظهار كمال القرآن في نظمه وبنائه وإحكامه.

ويمكن القول بأن هذا المنهج يعتبر مدرسة في التفسير، وهو منهج عظيم متقرر معتبر عند أئمة العلم والتفسير، إلا أنني لم أر أحداً من المفسرين أو غيرهم من اعتمد هذا المنهج في جميع التفسير، وقد بذل فيه كثير من الباحثين المتخصصين جهودهم في تأصيله ودراسة منهج المفسرين في تناوله، غير أنني لم أفق على رسالة منها قد استقلت بدراسة تطبيقية مستوفية لسورة أو سور معينة من القرآن اعتماداً على السياق.

ولا أدعي التمام والكمال، ولكن حسبي أنني قد وضعت لبنة في لبنات هذه المدرسة المباركة، ولعل الله تعالى أن يقدر لي أو لغيري أن يتمه ويحليه ويكمله، وأرجو الله تعالى أن أكون وفقته وما توفيقه إلا بالله.

سادساً: تبين لي خلال بحثي لهذا الموضوع أنه موضوع جديد، في طيه كنز من الموضوعات التي يمكن طرحها كرسائل علمية متخصصة، وكفى بها فضلاً أنها خدمة لكتاب الله تعالى وإبراز لمنهج صحيح لفهمه، ومن أبرز الموضوعات المقترحة في ذلك:

- 1- دراسة مناهج المفسرين في تناوله، وقد عملت عدة رسائل في مناهج بعض المفسرين كابن جرير، ومفسري المدرسة العقلية.
- 2- دراسة أغراض سور القرآن ومقاصدها الأساسية الجامعة، وتطبيقها على مضمون السورة كلها؛ فإن ذلك علم عظيم يبعث على فهم صحيح لكتاب الله تعالى.
- 3- دراسة سور القرآن وتفسيرها من خلال السياق.
- 4- دراسة مسائل الترجيح في سورة معينة باعتبار دلالة السياق.

وفي الختام أحمد الله تعالى أولاً وآخرأ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً يوافي نعمه وفضله علي بالتوفيق والتيسير لهذا العمل المبارك، وما منحني فيه من العون على طلب العلم والفتح والتوفيق. فاللهم لك الحمد لا نحصي ثناءً عليك.

ثم إنني أثنى بالشكر لجامعة الإمام المباركة وأخص قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض، الذي نهلنا من علم أساتذته الفضلاء في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. كما أشكر جامعة القصيم التي أعمل فيها، وكان لها أثر بتفريغي سنة كاملة في نهاية البحث. ثم إنني أضيف الفضل لأهله الذين كان لهم فضل عليّ في هذه الرسالة، اقتراحاً وتوجيهاً وتقويماً ودعاءً على رأسهم صاحب الفضل الأول - بعد الله - فضيلة المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، الذي أخرجني بعظيم أدبه وكريم تواضعه، وحسن تقويمه، وقد كان ذا رأي سديد ونظر ثاقب في هذا التخصص الدقيق، وقد منحني الثقة بحسن توجيهه ومتابعته وظنه الحسن، أسأل الله تعالى أن يرفع شأنه في العلم ويبارك في علمه وعمره.

كما أشكر فضيلة الأستاذين الكريمين المناقشين الأستاذ الدكتور أمين محمد الباشا ، والأستاذ الدكتور زكي محمد أبو سريع ، على تفضلهما بقبول الرسالة لمناقشتها وتقييمها وتسديدها ، سدد الله خطاهما وبارك في علمهما .

كما لا يفوتني أن أشكر كل من أعان على إنجاز هذا العمل، أو شجع عليه ببعث روح الأمل، وصدق الدعاء، وأخص منهم فضيلة الشيخ فهد بن شتوي الشتوي، وأخي الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الربيعية، والشيخ محمد إنسان الذين شاركوني مراجعة البحث وتصحيحه.

وأختم الشكر بأحق الناس للشكر قرة العين والدي الكريمين اللذين اقترن دعاؤهما لي خلال مدة الرسالة، وارتبط حرصهما ومتابعتهما وسؤالهما عن البحث سफراً وحضراً. فأسأل الله تعالى أن يديم عليهما الصحة والعافية، وأن يجزيهما عني خير ما جزى والدأ عن ولده، وأن يرفع درجاتهما في الدنيا والآخرة.

ثم أشكر الزوجة الكريمة ، والأبناء الأعزاء ، الذين كانوا جميعاً عوناً لي -بعد الله- بالتحمل والصبر والمصاحبة في السفر، والدعاء. أسأل الله تعالى أن يحفظهم ويديم توفيقهم، ويجمعني وإياهم ووالدي في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وبعد:

فخير ما أختم به عملي وجهدي، ما ختم به الله تعالى سورة البقرة من الدعاء، تعليماً للمؤمنين، بعد أن أتم لهم الدين وأكمل لهم الشريعة.

+ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...